الحـديث القُـــدُسي (2)

بحث في مصطلح الحديث

مستلة رقم 12

*أ.د/ أحمد فوزي محمد إبراهيم فارس*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم – ماليزيا

ahmed.fares@mediu.ws

­­­­­­­­

ahmadfares75@yahoo.com

خلاصة— **خلاصة هذا البحث يبين أن نتعرف على ما يميز الحديث القدسي عن كل من القرآن والحديث النبوي، وكيف تلقاه النبي**

# ***المقدمة***

الحديث القدسي هو من كلام الله بلسان محمد بإلهام رباني من غير طرق الوحي المعروفة أي عبر [جبريل-عليه السلام-](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AC%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-&action=edit&redlink=1)، أو من وراء حجاب أو تكليما مباشرا، إنما يأتي حسب علماء الدين الإسلامي إما بإلهام أو رؤية منامية وهي صادقة عند [الأنبياء](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%86%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D8%A1) أو قذف في [الروح](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%AD)، الفرق بينه وبين القرآن والحديث النبوي أنه أقل رتبة من القرآن الكريم وأعلى من الحديث النبوي، ولكن لا بتعبد به في الصلاة.

# **الموضوع**

**فرَّق العلماء بين الحديث القدسي والحديث النبوي بعدة أمور:**

 **1 – الحديث القدسي لا يكون إلا بوحي، جليّاً كان (بواسطة جبريل) أو غير جلي (إلهاماً أو مناماً)، أما الحديث النبوي فمنه ما كان وحياً، ومنه ما كان اجتهاداً واستنباطاً من رسول الله ، مع العلم بأن هذا الاجتهاد في معنى الوحي ؛ إذ لو كان اجتهاداً غير موافق لمراد الله عز وجل ما أقرَّه الله عليه، ولا سكت عنه أبداً، بل كان يصحح له ويُصوِّبه.**

 **2 –الحديث القدسي يضيفه النبيُّ إلى الله تعالى، بخلاف الحديث النبوي فإنه صلى الله عليه وسلم ينطق به مباشرة من غير أن يضيفَه إلى أحد.**

 **3 – غالباً ما تتعلق الأحاديث القُدُسية بتنـزيه ذات الحق سبحانه وتعالى، وبيان صفات جلاله وكماله وعظمته وقدرته، والتنبيه على عدله ورحمته، والحديث عن سعة عطائه وعفوه ومغفرته لعباده، ونحو ذلك من أسباب ترقيق القلوب وتهذيب الضمائر والنفوس، والحث على فعل الطاعات والخيرات وترك المعاصي والمنكرات.**

**أما الأحاديث النبوية فهي تشمل كل ما يهم المسلم من أمر دنياه وآخرته، وتتناول كل ما يصلحه نفسياً وروحياً وبدنياً وعقلياً، وتعالج كل ما يشغله من أمور المعاش والمعاد.**

**حوار لطيف:**

 **هذا حوار لطيف دار بين الشيخ وتلميذه حول القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي، نقله الشيخ جمال الدين القاسمي في (قواعد التحديث) أنقله هنا لنفاسته. قال رحمه الله:**

 **«قال العلامة السيد أحمد بن المبارك رحمه اله تعالى في (الإبريز): وسألته - يعني أستاذَه نجم العرفان السيد عبد العزيز الدَّبَّاغ قُدِّس سره - الفرق بين هذه الثلاثة يعني القرآن والحديث القدسي وغير القدسي؟ فقال قُدِّس سِرُّه:**

**الفرق بين هذه الثلاثة وإن كانت كلُّها خرجت من بين شفتيه وكلها معها أنوارٌ من أنواره: أن النورَ الذي في القرآن قديمٌ من ذات الحق سبحانه ؛ لأن كلامه تعالى قديم، والنور الذي في الحديث القدسي من روحه، وليس هو مثلَ نور القرآن فإن نورَ القرآن قديمٌ ونورَ هذا ليس بقديم، والنور الذي في الحديث الذي ليس بقدسي من ذاته.**

**فهي أنوار ثلاثة اختلفت بالإضافة، فنور القرآن من ذات الحق سبحانه، ونور الحديث القدسي من روحه، ونور ما ليس بقدسي من ذاته.**

**فقلت: ما الفرق بين نور الروح ونور الذات؟**

**فقال : الذات خُلقت من تراب ومن التراب خُلق سائر العباد، والروحُ من الملأ الأعلى، وهم أعرف الخلق بالحق سبحانه، وكل واحدٍ يَحِنُّ إلى أصله، فكان نور الروح متعلقاً بالحق سبحانه ونورُ الذات متعلقاً بالخلق، فلذلك ترى الأحاديثَ القدسيةَ تتعلق بالحق سبحانه وتعالى بتبيين عظمته أو لإظهار رحمته أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه.**

**فمن الأول (أي المتعلق ببيان عظمته): حديث: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ» إلى آخره، وهو حديث أبي ذر في مسلم.** ([[1]](#footnote-2)) **.**

**ومن الثاني (أي المتعلق بإظهار رحمته): حديث: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ»**([[2]](#footnote-3)) **الحديث.**

**ومن الثالث (أي المتعلق بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه): حديث**([[3]](#footnote-4)) **«يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَهٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» الخ.**

**وهذه من علوم الروح في الحق سبحانه.**

**وترى الأحاديث التي ليست بقدسية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد.**

**هذا بعضُ ما فهمتُ من كلامه رضي الله عنه، والحق أني لم أوف به ولم آت بجميع المعنى الذي أشار إليه.**

**فقلت: الحديث القدسي من كلام الله عز وجل أم لا؟**

**فقال: ليس هو من كلامه وإنما هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .**

**فقلت: فلم أضيف للرب سبحانه، فقيل فيه (حديث قدسي) وقيل فيه: (فيما يرويه عن ربه)؟ وإذا كان من كلامه عليه السلام فأي رواية له فيه عن ربه؟ وكيف نعمل مع هذه الضمائر في قوله: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ» الخ وقوله: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ» وقوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»** ([[4]](#footnote-5)) **فإن هذه الضمائر لا تليق إلا بالله؟ فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى وإن لم تكن ألفاظها لإعجاز ولا تعبدنا بتلاوتها.**

**فقال مرة: إن الأنوار من الحق سبحانه تَهُبُّ على ذات النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحصل له مشاهدةٌ خاصة - وإن كان دائماً في المشاهدة - فإن سمع من الأنوار كلامَ الحق سبحانه أو نزل عليه ملَكٌ فذلك هو القرآن، وإن لم يسمع كلاماً ولا نزل عليه مَلَكٌ فذلك وقتُ الحديث القدسي، فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا يتكلم حينئذٍ إلا في شأن الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها.**

**ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب سبحانه أنه كان مع هذه المشاهدة التي اختلطتْ فيها الأمورُ حتى رجع الغيبُ شهادةً والباطنُ ظاهراً، فأضيف إلى الرب وقيل فيه: (حديث رباني) وقيل فيه: (فيما يرويه عن ربه عز وجل).**

**ووجه الضمائر أن كلامه عليه السلام خرج على حكاية لسان الحال التي شاهدها من ربه عز وجل.**

**وأما الحديث الذي ليس بقدسي فإنه يخرج مع النور الساكن في ذاته عليه السلام الذي لا يغيب عنها أبداً، وذلك أنه عز وجل أَمَدَّ ذاته عليه السلام بأنوار الحق، كما أمد جرم الشمس بالأنوار المحسوسة، فالنورُ لازمٌ للذَّات الشريفة لزومَ نور الشمس لها**

**وقال مرة أخرى: وإذا فرضنا محموماً دامتْ عليه الحمَّى على قدرٍ معلوم، وفرضناها تارةً تقوى حتى يخرج بها عن حسِّه ويتكلم بما لا يدري، وفرضناها مرةً أخرى تقوى ولا تخرجه عن حِسِّه ويبقي على عقله ويتكلم بما يدري، فصار لهذه الحمى ثلاثة أحوال قدرها المعلوم، وقوَّتُها المخرجةُ عن الحس، وقُوَّتُها التي لا تخرج عن الحس، فكذا الأنوار في ذاته عليه السلام، فإن كانت على القدر المعلوم فما كان من الكلام حينئذٍ فهو الحديث الذي ليس بقُدُسي، وإن سطعت الأنوارُ وشغلت في الذات حتى خرج بها عليه السلام عن حالته المعلومة، فما كان من الكلام حينئذٍ فهو كلام الله سبحانه، وهذه كانت حالتَه عليه السلام عند نزول القرآن عليه، وإن سطعت الأنوارُ ولم تخرجه عن حالته عليه السلام فما كان من الكلام حينئذٍ قيل فيه حديث قدسي.**

**وقال مرة: إذا تكلم النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكان الكلامُ بغير اختياره فهو القرآن، وإن كان باختياره فإن سطعتْ حينئذٍ أنوارٌ عارضةٌ فهو الحديثُ القدسي، وإن كانت الأنوار الدائمة فهو الحديث الذي ليس بقدسي، ولأجل أن كلامَه لا بد أن تكون معه أنوارُ الحق سبحانه كان جميعُ ما يتكلم به وحياً يوحي، وباختلاف أحوال الأنوار افترق إلى الأقسام الثلاثة، والله أعلم.**

**قال السيد أحمد بن المبارك: فقلت هذا كلام في غاية الحسن، ولكن ما الدليل على أن الحديث القدسي ليس من كلامه عز وجل؟**

**فقال رضي الله عنه: كلامه تعالى لا يخفي.**

**فقلت: بِكَشْفٍ؟**

**فقال رضي الله عنه: بكشفٍ وبغير كشف، ولذلك مَنْ له عقلٌ وأنصتَ للقرآن ثم أنصتَ لغيره أدرك الفرقَ لا محالة، والصحابةُ رضي الله عنهم أعقلُ الناس، وما تركوا دينَهم الذي كانت عليه الآباءُ إلا بما وضح من كلامه تعالى، ولو لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يشبه الأحاديثَ القُدُسية ما آمن من الناس أحدٌ، ولكن الذي ظَلَّتْ له الأعناقُ خاضعةً هو القرآنُ العزيزُ الذي هو كلامُ الرب سبحانه وتعالى.**

**فقلت له: ومن أين لهم أنه كلام الرب تعالى، وإنما كانوا على عبادة الأوثان ولم تسبِقْ لهم معرفةٌ بالله عز وجل حتى يعلموا أنه كلامُه؟ وغاية ما أدركوه أنه كلامٌ خارجٌ عن طَوْق البشر، فلعله من عند الملائكة مثلاً.**

 **فقال رضي الله عنه: كل من استمع القرآن وأجرى معانِيَه على قلبه علم علماً ضرورياً أنه كلامُ الرب سبحانه، فإن العظمةَ التي فيه والسطوةَ التي عليه ليست إلا عظمةَ الربوبية وسطوةَ الألوهية، والعاقلُ الكيِّس إذا استمع لكلام السلطان الحادث ثم استمع لكلام رعيَّته وجد لكلام السلطان نَفَساً به يُعْرَف، حتى إن فرضناه أعمى وجاء إلى جماعةٍ يتكلمون والسلطانُ مغمورٌ فيهم وهم يتناوبون الكلام لَمَيَّز كلامَ السلطان من غيره، بحيث لا تدخله في ذلك ريبة. هذا في الحادث مع الحادث فكيف بكلام القديم؟ وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم من القرآن ربَّهم عز وجل، وعرفوا صفاته وما يستحقه من ربوبيته، وقام لهم سماعُ القرآن في إفادة العلم القطعي به عز وجل مقامَ المعاينة والمشاهدة، وحتى صار الحق سبحانه عندهم بمنزلة الجليس ولا يخفي على أحدٍ جليسُه». انتهى.**

**............................................................................................**

# المراجع والمصادر

1. صحيح البخاري للإمام/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت256هـ) – تحقيق/ د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه فى كلية الشريعة - جامعة دمشق – الناشر/ دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت- الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987م .
2. صحيح مسلم للإمام/ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت261هـ)-حققه / محمد فؤاد عبد الباقى دار إحياء التراث العربي - بيروت .
3. المسند للإمام/ أحمد بن حنبل (ت241هـ)- الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة .
1. () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب: تحريم الظلم 4/1994(55/2577) [↑](#footnote-ref-2)
2. () أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة 6/318 (3244)، وأرقام (4779، 4780، 7498)، ومسلم في كتاب: صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها 4/2174(2824/2). [↑](#footnote-ref-3)
3. () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب: وكان عرشه علي الماء 8/352(4684)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب: الحث علي النفقة وتبشير المنفق بالخلف 2/690(36/993). [↑](#footnote-ref-4)
4. () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية 7/439(4147) . [↑](#footnote-ref-5)